الغضـــب LA COLERE

(ســـيناريو)

الصورة الأولى تمثل سماء فى فصل الربيع ، فى حين يسمع قرع اجراس كنيسة صغيرة نراها من اعلى الى اسفل وتشير ساعتها الى الثانية عشرة ظهرا · ثم نرى الساحه الصغيرة لمدينة صغيرة فى الريف ، دقات الاجراس تكون متباعدة · وكل شىء فى البداية يجرى بطيئا · الناس يخرجون من الكنيسة ، هادئين ، مبتسمين يحيى بعضهم البعض وهم يتبادلون عبارات المجاملة المهذبة · العجائز يخرجن من الكنيسة ، تمر احداهن بجوار المتسول المعهـود وتعطيه قطعة من النقود وهى تقول له : « هذه من أجل يوم الأحد يا صديقى » فيجيبها وهو يبتسم قائلا : « جازاك الله كل خير يا سيدتى الطيبة » ، وتنصرف الســـيدة ويقول المتسول : « جميل أن نتسول حينما يكون هناك اناس محسنون » ثم يبتسم فى غبطة وسعادة ·

سيدة ثانية تقول لثالثة : « أوه يا عزيزتى ، كيـف حال زوجك المسكين ؟ » فتجيبها قائلة : « سعيد ، فلقد تعود على الشلل الذى أصابه » ·

النـاس لا يزالون يسـيرون وهم يتبـادلون التحيات بالقبعات وبحركات أيديهم الودية · ترى بعض الأشجار ، واسطح المنازل التى تشرق بنور الشمس ، والنوافذ التى تسطع وسط النور ·

فى احدى النوافذ تظهر سيدة ترتدى ثيـاب الأحد تخاطب شابا أسفل المنزل خرج لتوه منه : « لا تنس أن تشترى الأزهار لخالتك » فيجيبها الشاب قائلا : « لن أنسى ذلك يا ماما · وساقبلها نيابة عنك » · يمكن أن نضيف ، اذا شـئنا ، مشهدين أو ثلاثة مشاهد من نوع تلك المشاهد المثالية التى يقتدى بها ·

الميـــدان يتكشف أكثر فأكثر فنـرى مقهى صغيرا · رجل قروى محترم جالس مع زوجته الى احدى الموائد على رصيف المقهى · زوجان آخران من نفس السن ، يجلسان الى مائدة أخرى الرجل الاول يقول مخاطبا الثانى : اننى ، كما ترى ، لا أشرب الا المياه المعدنية يوم الأحد ، أما الكحول فلبقية أيام الأسـبوع » · فيعقب الآخر قائلا : « أما أنا فعلى العكس » ·

طفل صغير يمر بصحبة جدته · يداعبه بعض المارة · وتقدم له سيدة شيئا من الحلوى · فيقول لها الطفل : « شكرا يا سيدتى » الجدة تخاطب الســـيدة التى قدمت الحلوى للطفل قائـلة : « بوسعك أن تقدمى له الحلوى يا سيدتى ، فهو عاقل ، لا يضع أصابعه فى أنفه » · الطفل يقول : « اننى أحمل وسام الشرف » · ويعرض وســـام الشرف الذى يحمله ، فى حين يضـــج الكبار المحيطـــون بالضـــحك ، فتقول الجـــدة : « ان حفيدى فى منتهى الذكاء ، وهو يريـــد أن يلتحق بالمدرسة العليا » ، فيسأل أحدهم قائلا : « أية مدرسة عليـا ؟ » فتجيبه الجدة : « أقصد المدرسة العليا العادية غـير » (١) · يجـوز أن

---

(١) فى النص الفرنسى تلاعب بالالفاظ ، اذ أن مدرسة المعلمين تسمى Ecole Normale اما عبارة Ecole anormale فمعناها مدرسة شاذة ، ومن المعروف أن عامـة الشـعب الفرنسى يرتكب نفس الخطأ الذى وقعت فيه الجـدة عند التحدث عن مدرسة المعلمين ·

يصطحب أحد الأزواج كلبا صغيرا وزوجته قطا صغيرا ، الكلب يستعرض محاسنه القط يقوس ظهره ويدندن ، مشهد يدل على المحبة والتعاطف بين الحيوانين ، السيدان صاحبا الكلب والقط في منتهى الانشراح · يقول أحدهم : « ما ألطفهما ! » صاحبة الكلب تقول : « ان قطك ألطف من كلبي » فيرد صاحب القط : « انه لم يعض انسانا أبدا » أصحاب الكلب يقولون : « انه لم يعض انسانا أبدا ! » صاحب القط يقول : « أوه ! ان هذه الحيوانات الصغيرة ، كما تعلمون ، ··· » صاحبة الكلب تقول : « لا ينقصها سوى الكلام » صاحبة القط : « ان ملاحظتك في مكانها » صاحب الكلب : « انها تفهم كل شيء » ·

صور أخرى تتتابع · يظهر الخوري خارجا من الكنيسة · يقول له أحدهم :«صباح الخير يا سيدى الخورى » · فيجيب الخوري : « صباح الخير يا سيدى المعلم » يظهر المتسول وهو يحيى رجل الشرطة في ود خالص فيجيبه الشرطى أيضا في ود ومحبة قائلا : « كيف حالك أيها الرجل الطيب؟ » « هل عثرت على مسكن؟ » فيرد المتسول قائلا : « الحال على ما يرام · هناك شخص طيب يأويني » فيعلق الشرطى قائلا : «الطيبون كثيرون» فيعقب المتسول : « آه ، فعلا ، لحسن الحظ » فيختم الشرطى قائلا : « آه ، فعلا لحسن الحظ · إذا ضاقت بك الحال ، تعال زرنى في المركز » ·

المنظر يمثل داخل محل حلويات · الزوج الشاب يحمل في احدى يديه علبة حلويات صغيرة اشتراها قبل قليل ، ويحمل باقة من الورد في يده الأخرى · يخاطب البائعة قائلا : « زوجتى تعبد أقراص الحلوى ، وهى تحب الشطائر بالفراولة » · فتقول البائعه · « أنت زوج مجامل تراعى رغبات زوجتك · وانتما متحابان كثيرا » الزوج الشاب : « أنا مستعجل ، انها تنتظرنى ، فلا ينبغى أن تقلق لتأخرى » · يخرج من المحل · في الساحة ، يشير الى زوجته الشابة التى تنظر اليه من نافذة في المنزل المواجه · يتقاذفان القبلات · يتوجه سعيدا الى المنزل · يجوز أن نرى أشخاصا آخرين يحملون حلوى ويدخلون منازل مختلفة · الزوج يدخل شقته · زوجته تفتح له الباب · الزوج : « صباح الخير ، يا حبيبتى » · الزوجة : « صباح الخير يا حبيبى » ، « أوه ! مفاجأة أخرى » يقدم لها الورد · تقبله · ثم يقدم لها الحلوى· تقبله · الزوجة تضع الحلوى فوق المائدة المعدة للغداء ، وتضع الورد في زهرية· الزوج يخلع قبعته ويناولها لها · يتعانقان ، الزوجة تذهب لتضع كل هذه الأشياء في أماكنها· البيت من الداخل بسيط ، مفرح ، يموج بالضوء وقطع الأثاث والفرش فاتحة اللون · جهاز تلفزيون يذيع الأخبار · الزوج يسأل : « ما الأخبار ؟ » فتجيبه : « سارة طبعا ، كما هى العادة » نسمع المذيعة وهى تقول : « وفى ختام الاجتماع الذى عقد بين كافة رؤساء الدول ، وانتهى بعقد الصلح العام ، أقيمت مادبة كبرى ، وألقيت بعض الكلمات وتعانق على أثرها رؤساء الدول جميعا » ·

يجوز أن نشاهد بسرعة رؤساء دول وجنرالات يتعانقون بالفعل ويقول بعض للبعض الآخر : « نحن نعطيكم كل ما تريدون » ·

الزوج الشاب : « ياله من شيء جميل ! ، منذ ثلاث سنوات وهم يتصالحون كل يوم » ·

مشهد غرام خاطف بين الزوجين · يتعانقان ويتبادلان القبلات وهذه الصفات : حمامتى ، أرنبى ، حملى ، قطتى ، عصفورتى ، بطتى ، حبى، زهرتى ، روحى » ·

يجوز أن نشاهد مسبقا لقطات خاطفة بعيد وصول الزوج الشاب ، ويظهر في هذه اللقطات رجل مسن يدخل شقة أخرى من العمارة حاملا بعض الزهور · ثم وبعد أن يخلع الشاب سترته ، يمكن أن نشاهد ، في شقة اخرى ، رجلا آخر يخلع سترته ويناولها لزوجته · وبالمثل يظهر زوجان آخران : كاهن أورثوذكسى ذو لحية يقبل زوجته · وفى شقة زوجان آخران ، يسأل الزوج زوجته قائلا : « ما الأخبار ؟ » يوجه هذا السؤال مباشرة بعد أن يوجهه الزوج الشاب · مشهد الغرام بين الزوجين الشابين تقطعه لقطات تعرض مشاهد غرام مماثلة تجرى في جميع طوابق المنزل فبعد أن يقول الزوج الشاب لزوجته : « وردتى » نسمع ونرى زوجة الكاهن

تجيب زوجها قائلة : « كنزى » وبعد كلمة « أرنبى » نسمع ونشاهد زوجا عجوزا ضئيلا يجيب زوجته البدينة قائلا : « عصفورتى » ، وهلم جرا ..

الزوجة الشابة : « فلنؤجل القبلات لما بعد . يجب ان تأكل الآن ... » الزوج الشاب : « فعلا ، اننى اشعر بالجوع » تنزع الزوجة مئزرها الصغير وتذهب لتعليقه ، يسير فى أثرها، يتعانقان . يذهب الى المائدة . يجلس أولا ثم ينهض مرة أخرى ليقبلها مرات عديدة . الزوجة: « اعقل ، أنا لا أحب أن تموت من الجوع !! هذه العبارة وهذه الصورة تتكرر فى شقتين أو ثلاث بين الأزواج الآخرين كل مع زوجته . الزوجة الشابة : « آه ! أنا ايضا عندى لك هدية » تقدم له رباط عنق. الزوج الشاب : «أوه ! ما أجمله»! يرتدى رباط العنق الجديد . الزوجة : « انه يناسب سترتك كثيرا » . يرتدى سترته . يتعانقان . ويتبادلان عبارات الغرام . يتوجه ناحية المرآة . يضع قبعته فوق رأسه . يتأمل نفسه : « انه لائق جدا » يقبلها . الزوجة : « لا تجلس الى المائدة بقبعتك » . الزوج الشاب : « أنا آسف » يخلع قبعته ، يناولها لها ، تذهب لتعلقها . يخلع سترته يناولها اياها . تذهب لتضعها. يهم بخلع رباط العنق ثم يعدل عن رأيه. « كلا ، سأحتفظ به ، فهو جميل جدا » هذه العبارة الأخيرة يمكن أن يكررها عدد كبير من الازواج فى المنزل . الزوجان الشابان جلسا الى المائدة هذه المرة بصفة نهائية . تظهر يدا الزوجة الشابة وهى تحمل وعاء حساء وتضعه فوق المائدة الزوج الشاب يمتعض امتعاضة خفيفة ويقول : « حساء أيضا » تظهر بالمثل لقطات متلاحقة تمثل أيدى تحمل أوعية حساء مختلفة فى الشقق المختلفة .

الزوجة الشابة : « أنت لا تتناوله فى سائر أيام الأسبوع ، لذلك فانا أصنعه لك يوم الأحد. انه حساء الصيف » الزوج الشاب : « هذه لفتة رقيقة من جانبك » الزوج يهم بتناول أول ملعقة ، فيلمح ذبابة ضخمة تطفو فى صحنه . يقطب جبينه فيبدو القلق على الزوجة . « أراك متكدرا ، ماذا بك ؟ » الزوج يجيب متساهلا متسامحا : « لا شىء . انه أمر مألوف ذبابة فى الحساء ، كما يحدث كل يوم أحد » . الزوجة : « ذبابة فى الحساء ؟ كذاب » . الزوج الشاب : « أليست هذه ذبابة ؟ » الزوجة الشابة : « أنت الذى وضعتها لكى تغيظنى » الزوج : « عجبا يا حبيبتى كيف تعتقدين ذلك ؟ هذا غباء » الزوجة : « لا داعى للاهانة » الزوج : « أنا لا أهينك » .

لقطات أخرى تبين لنا الأزواج الآخرين وقد لاحظ كل منهم وجود ذبابة فى الصحن الخاص به . يسمع كل منهم وهو يقول : « ذبابة » (الكاهن ذو اللحية يقولها ، ثم نسمع زوجة أخرى تجيب زوجها قائلة : «أية ذبابة ؟» ثم يسمع الكاهن وهو يقول : « انظرى » فى شقة أخرى ، القاضى جالس الى المائدة يقول : « منذ ثلاثين عاما، كل يوم أحد أجد ... صورة أخرى تمثل المعلم وهو يقول لزوجته : « ذبابة فى صحن الحساء » يسمع الخورى وهو يقول لخادمته : « ولكن .. » وفى شقة أصحاب الكلب ، يقول الزوج لزوجته : « منذ خمسة وعشرين عاما ، كل يوم أحد » ، فى شقة السيدة البدينة الطيبة : « أوه ! الأستاذ قرفان » .

مرة أخرى فى شقة الزوجين الشابين، الزوجة: « اعمل لنا حكاية من أجل ذبابة . أوه ، الأستاذ قرفان . لا أظن أنك تربيت فى قصور أمراء . فأنا أعرف تماما كيف كان أهلك ؟ الزوج : « ماذا كانوا ؟ » الزوجة : « كانوا يجمعون الخرق» الزوج : « انهم الآن على المعاش ، ثم ليست هناك مهنة حقيرة .فدعى أهلى وشأنهم » الزوجة : « وماذا فعلت لهم أنا » الزوج : « جامع الخرق أشرف من القواد » الزوجة : « من كان قوادا من فضلك ؟ » الزوج : « أبوك . والجميع يعلم ذلك لأنه لم ينجح فى مهنته كجامع للخرق ، فهى مهنة صعبة ، لأنها مهنة شريفة » . الزوجة : «ألا تخجل من ذكر أهلى بالسوء ؟ هذا بدلا من أن تعترف بفضلهم عليك . ماذا كنت ستصبح ، أيها الصعلوك ، لولا الصداق الذى دفعوه لنا ؟ » الزوج الشاب : « دفعوه لنا بالعملة المزورة . واضطررت الى بيعها بنصف القيمة » . الزوجة الشابة : « على أية حال فقد حصلت من ذلك على مبلغ محترم » الزوج الشاب : « ومع ذلك فليس هذا سببا يجعلك تضعين عمدا الذباب فى حسائى

كل يوم أحد » . الزوجة الشابة : « لقد حذرونى منك . حذرونى أن أتزوج منك لأنك مجنـون . كان عمى على حق حينما قال لى ذلك . كان ينبغى أن أستمع له » الزوج الشاب : « عمك الوقـح العجوز. لقد كان دائما معتوها خرفا ». الزوجة : « لم يكن فى ذلك أكثر من ابنة عمك ، عبيطـة القريـة » .

لقطات أخرى فى الشقق الأخرى، تصور زوجة الكاهن وهى تقول لزوجها : « عمتك » ثم القاضى وهو يقول لزوجته : « جد جدك العبيط » زوجة القاضى ترد عليه قائـلة : « أهلك يسـتحقون الشـنق » الخورى يقول لخادمتـه : « أسرة من الزنادقـة » المتسول للسيدة العجوز فى شـقة أخرى : « عظمة زائفة . غشاشين دجالين . هكذا كنتم دائما يا سيدتى » . فى شقة صاحب الكلب، تظهر الزوجة وهى توجه الكلام الى الكلب مشيرة الى زوجها باصبعها : « عضه » وفى شقة أصحاب القط ، نرى القط وهو يهاجم الزوجة .

مرة أخرى فى شقة الزوجين الشابين . نرى الزوج وهو يلقى بما فى وعاء الحساء على رأس زوجته . لقطات أخرى مماثلة تتابع فى الشقق الأخرى . ثم نرى الحســـاء يتسرب من أسفل أبواب جميع الشقق مشـكلا سـيلا ينهال فوق السلالم . يصل الأمر الى الضرب . النساء يقبلن التحدى . نشاهد دستة من الأيـدى تنهال على نصف دستة الوجوه التى تمثل الأزواج .

وفى شـقة الزوجين الشابين ، الزوجة تقول لزوجها : « أيها القاتل » فى سائر الشقق الأخرى يقع الشجار بالأوانى. وعاء يلقى به زوج أو زوجة فيسقط عند قدمى أحد رجال الشرطة بمجرد أن يلتفت الشرطى يسقط وعاء آخر عند قدميـه ، ثم وعاء ثالث ، ورابع فوق رأسه . يطلق صفارته لكى يستدعى زملاءه لنجدته. صورة أخرى تعرض لنا ممسحة سقطة فوق موقد فاندلعت فيها النار ، وهذا هو بداية الحريق الذى يندلع فى المنزل .

ابتداء من هذه اللحظة ، تتتابع الصور فى سرعة متناهية نشاهد بعض الصور فى الشقق تمثل عراكا بين الزوجين أو تحطيما لآنيـة . الـخ . بعضهم يخرج الى بسطة السلم بعد أن القى به فى عنف خارج الشقة مطرودا . اى شـــخص يتعارك مع أى شخص آخر بينما يسيل الحساء كالسيل العارم فوق السلالم .

رجال الشرطة يصلون فى سياراتهم . الأسر المختلفة تشاهدهم من النوافذ . فيقول أحدهم من النافذة بين ضربتين : « الشرطة » ثم تقول زوجة : « الشرطة ! » .

رجال الشرطـة يتدفقون من عدة عربـات ، يدخلون المنازل . يخرجون منها بسرعة ساحبين الأزواج الهائجين وهـم يناضـلون ويصيحون : « النجـدة الشرطـة ! » المنزل يحترق . رجـال الاطفاء يصلون أيضـا ، سكان المدينـة يصلون لنجدة المقبوض عليهم .

العراك بين رجـــل الشرطة والأهالى يمتـــد فيشمل الحى كله . لتنفيذ ذلك تؤخذ من مكتبات السـينما مشـاهد سينمائيـة تصـور التمرد والعصيان . الدبابات فى برلين مثـلا تقمع ثورة العمال، أو المعارك التى تجرى بين البيض والسود فى جنوب أفريقيا وغيرها .

صورة تبين لنا الممسحة المشـتعلة فى الشقة التى نشرت الحريق فى المنزل كله . صورة تمثل رجال الاطفاء وهم يحاولون اخماد الحريق الهائل، ويمكن العثـور على هذا المشهد أيضـا فى بعض الأفلام السينمائية الموجودة بمكتبات السينما ثم تقع الحرب : بوانكاريه وكليمنصـو يستعرضان

الجنود ، هتلر أو موسولينى يخطب فى الجماهير . قذف لندن أو هامبورج بالقنابل ، ثم يلى ذلك أحداث تتوالى : فيضانات ، زلازل أرضية الخ . ينتهى ذلك كله الى صورة تمثل انفجار القنبلة الذرية .

هذا الفيلم القصير يمكن أن يتركز حول شخصين يظهران فى اللحظات الحاسمة وهما السيد الوحيد ومذيعه التليفزيون فيظهر هو تارة وهى تارة أخرى على فترات منتظمة . السيد جالس الى احدى الموائد فى احدى المقاهى . هادىء فى البداية وشيئا فشيئا يستولى عليه الغضب من تلقاء نفسه . وكلما زاد العراك ، زاد غضبه أيضا عاكسا صورة العراك ، بطريقة صامتة . وقبل أن تنفجر الكرة الأرضية نرى وجهه الذى أصبح قرمزيا ينفجر أيضا ، أما المذيعة فهى تكون هادئة باسمة وتظهر من حين لآخر على شاشة التلفزيون ثم على شاشة الفيلم كلها وهى تعلن أنباء لا علاقة بينها وبين ما يجرى فى الفيلم من أحداث . فهى تتحدث عن الربيع ، وعن الجداول ، والأزهار والمروج . وبعد أن ينفجر رأس السيد وذلك قبيل انفجار العالم مباشرة ، تظهر المذيعة بابتسامتها المشرقة كاشفة عن أسنانها الجميلة ، وتعلن قائلة : « سيداتى سادتى ، بعد لحظات ستحل نهاية العالم » .

الصورة الأخيرة تمثل الكرة الأرضية وهى تنفجر .

ديسمبر ١٩٦١